مُلحق باستِدراكات

النُّكت والعيون
تفسير الماوردي

تصنيف

أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري

٣٦٤ - ٤٥٠ هـ

راجعهُ وعلّقَ عليه

السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم

- بيان وتوضيح -

صدر الكتاب في طبعته الأولى محتوياً على تعليقات
ليست للمحقق فرأينا نشر الحقيقة في هذا المستدرك

مُلحق باستدراكات

النُّكت والعيون
تفسير الماوردي

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ
بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

صدق الله العظيم

(سورة الزمر ٦٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمـــة النـاشـر

إنَّ الحمـد للَّه نحمده ونَسْتَعينـه ونَسْتَغْفره ونعـوذُ باللَّه من شُـرور أنفسنـا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسُوله وبعد:

فقد منَّ اللَّه تعالى علينا في مؤسستنا «مؤسسة الكتب الثقافية» بطباعة هذا السِّفر العظيم، تفسير المـاوردي المسمَّى بالنُّكت والعيـون وصدرت طبعتنـا في أبهى حُلَّة وأحسن صـورة إلا أنه فـوجئنا بمـا فعله بعض العاملين «عـامله اللَّه بما يستحق» في مكتب التصحيح ببيروت حيث تدخل بـإلغاء بعض تعلقيـات المحقق وأدخل عليهـا تعليقات أخرى ليس منها، وكانت مفاجأة بالنسبة للناشر وللمحقق معاً!.

ووضعاً للأمور في نصابهـا، سارعت المؤسسـة أداء للأمـانة العلميـة بإرجـاع الأصول إلى مواضعها بطباعة هذا الملحق بالتعليقات الأصلية للمحقق والتي حُذفت أو أُدخل عليها ما ليس منها.

ولقد مرَّ هذا الكتاب بظروف بالغة الصُّعوبـة حتى يسَّر اللَّه طبعـه حيث كانت أحداث الخليج وغيرها سبباً في تأخر طباعته ونشره فبقي حبيساً في مكتب التصحيح طيلة هذه المدة ممـا سمح بـالفرصـة للبعض في مكتب التصحيح والصف لإدخـال ما ليس منه. وبعد مرور هذه الأحداث وانتهائها شرعنا في طبع الكتاب بالتنسيق مع الأستاذ محمد علي بيضون صاحب دار الكتب العلمية وكم كان سرورنا بهذه الطبعة إلا أنه لم يتم والحمد للَّه على كل حال!! وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل.

وترجع قصة نشر هذا الكتاب حينما اتفقت مؤسستنا منذ ثلاث سنوات مع الأخ الفاضل شرف حجازي صاحب مركز السنة للبحث العلمي على تحقيق هذا السِّفر الجليل حيث عهد بذلك إلى الأستاذ الفاضل السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم فقام مشكوراً بجهودٍ كبيرة في تخريجه والتعليق عليه ثم قمنا بعمل الفهارس اللازمة للآيات والتصحيح في مؤسستنا ببيروت.

وقد رأينا عندما فوجئنا بما حدث ـ أن نعيد الحواشي الأصلية إلى مواضعها على وجه السرعة، فقمنا بمراجعة جميع الديسكات المحفوظة بها الحواشي الأصلية للمحقق على النسخة المطبوعة فظهر الفرق واضحاً جلياً فرأينا إثباته وجمعه في هذا الملحق على أن يرفق مع كل نسخة تباع للقارىء الكريم في الطبعة الأولى فقط.

وسنقوم إن شاء اللَّه تعالى في الطبعة المقبلة بإدخالها في مواضعها الأصلية مباشرة حتى يصدر الكتاب كما كان مقرراً له.

وختاماً أود أن ألفت نظر القارىء إلى أن مؤسسة الكتب الثقافية ليس لها أي علم في هذا التغيير الحاصل... الذي تم في الطبعة الأولى، وأحمد اللَّه سبحانه حيث وفقنا لإظهاره، وحذف هذه الفِرية ولعلَّ في إصلاحه ما كان عزاءً لنا وللمحقق والقارىء وأدعو اللَّه سبحانه أن يوفقنا إلى ما فيه الخير والصلاح في الدنيا والآخرة وآخر دعوانا أن الحمد اللَّه رب العالمين.

الناشر

استدركات

المجلد الأول

صفحة:

٦١ ـ ٦٨ ـ ٨٧
١٠٢ ـ ١٠٤ ـ ١٧٧
٢٦٩ ـ ٣١٥

وهو قول جميع المفسرين(٨٥).

وفي غضب الله عليهم ، أربعة أقاويل :

أحدها : الغضب المعروف من العباد(٨٦).

والثاني : أنه إرادة الإنتقام ، لأن أصل الغضب في اللغة هو الغلظة ، وهذه الصفة لا تجوز على الله تعالى .

والثالث : أن غضبه عليهم هو ذَمُّهُ لهم .

والرابع : أنه نوع من العقوبة سُمِّيَ غضباً ، كما سُمِّيَتْ نِعَمُهُ رَحْمَةً .

والضلال ضد الهدى ، وخصّ الله تعالى اليهود بالغضب ، لأنهم أشد عداوة .

وقرأ عمر بن الخطاب(٨٧) (غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَغَيْرِ الضَّآلِّينَ) .

= الشيخ الدوسري حفظه الله في كتابه النهج السديد (ص ٥٣) «وعزو الحديث لأحمد وهم ولذلك لم يعزْ السيوطي في الدر الحديث إليه» . فوهم منه حفظه الله فقد رواه الإمام أحمد في مسنده كما رأيت . . . وأما قوله : «ولذلك لم يعزُ السيوطي في الدر الحديث إليه» فيقال كم من حديث رواه أحمد في مسنده وفات السيوطي في الجامع الصغير والدر المنثور والأمثلة على ذلك كثير لا يتسع المقام لها .

(٨٥) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (٨/ ١٥٩) قال ابن أبي حاتم لا أعلم بين المفسرين في ذلك اختلافاً قال السهيلي وشاهد ذلك في قوله تعالى في اليهود : ﴿**فباؤا بغضب على غضب**﴾ **وفي النصارى** ﴿**قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً**﴾ اهـ ثم اعلم أيها القارىء أن تفسير «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» ورد من حديث أبي ذر وإسناده حسن حسنه الحافظ رحمه الله في نفس المكان من الفتح (٨/ ١٥٩) أخرجه ابن مردويه .

(٨٦) ولماذا لا يقال غضب الله عليهم غضباً يليق بذاته وجلاله فنثبت لله ما أثبته لنفسه فلا نؤول هذه الصفة بإرادة الإنتقام أو نعطلها عن مدلولها أليس في طريق السلف مقنع وخير؟ اللهم بلى . ثم اعلم أن القول الأول قول المشبهة والثاني قول المؤولة والثالث من تفسير الصفة يلازمها وهذه ليس طريقة السلف والصحيح أنها صفة من صفات الله لها تأثير على من عصى أمره وخالف رسله .

وقد جعل الله الانتقام نتيجة الغضب في آية الزخرف فدل ذلك على أن الانتقام غير الغضب . قال تعالى : ﴿**فلما آسفونا**﴾ أي أغضبونا ﴿**انتقمنا منهم**﴾ ففي الآية رد على من أوّل هذه الصفة بإرادة الانتقام أو عطلها .

(٨٧) وقد رواها أبو عبيدة القاسم بن سلام في كتابه فضائل القرآن وسعيد بن منصور بإسناد صحيح صححه ابن حجر في الفتح (٨/ ١٥٩) وابن كثير من قبله (١/ ٢٩) لكن الحافظ ابن كثير رحمه الله قال : «وكذلك حكي عن أبي بن كعب أنه قرأ كذلك وهو محمول على أنه صدر منهما على وجه التفسير» .

أحدها : أنهم الذين اتقوا ما حرم الله عليهم وأدَّوا ما افترض عليهم ، وهذا قول الحسن البصري .

والثاني : أنهم الذين يحذرون من الله تعالى عقوبته ويرجون رحمته وهذا قول ابن عباس .

والثالث : أنهم الذين آتقوا الشرك وبرئوا من النفاق وهذا فاسد[٩٩] ، لأنه قد يكون كذلك ، وهو فاسق وإنما خص به المتقين ، وإن كان هدىً لجميع الناس ، لأنهم آمنوا وصدقوا بما فيه .

ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ

قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يصدقون بالغيب ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : يخشون بالغيب ، وهذا قول الربيع بن أنس[١٠٠] .

وفي أصل الإيمان[١٠١] ثلاثة أقوال :

أحدها : أن أصله التصديق ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا ﴾ أي بمصدِّق لنا .

والثاني : أن أصله الأمان فالمؤمن يؤمن نفسه من عذاب الله ، والله المؤمِنُ لأوليائه من عقابه .

---

(٩٩) هذا القول الثالث الذي ذكره المؤلف ورده تبع في ذلك الإمام الطبري فلا يظن ظان أنه انتصر في هذا القول لمذهب المعتزلة . أنظر الطبري (١/ ٢٣٤) .

(١٠٠) وهو الربيع بن أنس بن زياد البكري . الخرساني ، المروزي ، بصري . سمع أنس بن مالك وأبا العالية الرياحي والحسن البصري وغيرهم . وعنه سليمان التيمي والأعمش وابن المبارك . كان عالم مرو في زمانه توفي سنة تسع وثلاثين ومئة رحمه الله . أنظر : ـ
طبقات ابن سعد (٧/ ١٠٢) تهذيب التهذيب (٣/ ٢٣٨)، سير أعلام النبلاء (٦/ ١٦٩) ثقات ابن حبان (٣/ ٦٤) .

(١٠١) يعني به المؤلف رحمه الله أصله في اللغة وراجع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الإيمان حول الأصل اللغوي لهذه اللفظة ص ٩٤ ـ ٩٨ .

قوله عز وجل : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾ في الأبدان ، والأخلاق ، والأفعال ، فلا يَحِضْن ، ولا يلدْن ، ولا يذْهَبْن إلى غائطٍ ولا بولٍ ، وهذا قول جميع أهل التفسير .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ۚ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فما فوقها ﴾ .

في قوله : ﴿ لَا يَسْتَحْيِي ﴾ ثلاثةُ تأويلاتٍ :

أحدها : معناه لا يترك(١٢١) .

والثاني : [يريد](*) لا يخشىٰ .

والثالث : لا يمتنع ، وهذا قول المفضل .

وأصل الاستحياء الانقباض عن الشيء والامتناع منه خوفاً من مواقَعَةِ القبح .

والبعوضة : من صغار البقِّ سُميت بعوضة ، لأنها كبعض البقَّة لصِغَرِها .

وفي قوله : ﴿ مَا بَعُوضَةً ﴾ ثلاثةُ أوجُهٍ :

---

(١٢١) والصواب إثبات صفة الحياء لله على الوجه اللائق به ، وأما ما ذكره المؤلف هنا من أقوال فالأول والثالث منها من تفسير الصفة بلازمها وقد نبهنا على أن هذه الطريق ليست طريقة السلف وأما الثاني من الأقوال فقد ذكره الإمام الطبري عن بعض أهل العربية . قال الشيخ محمد بن عبد الرحمٰن وفيه نظر . . . على أن تفسير الحياء بالخشية وإن قال به بعض أهل العربية فالذي يظهر أنه صفة يتصف بها الإنسان ومن لوازم الصفة الخشية ولا ينبغي أن تفسر الصفة بالخشية والله أعلم .

[المفسرو بين التأويل والإثبات ١ / ١٣٥] .

(*) ما بين المعكوفين زيادة .

والثاني : أنَّه جعله قِبْلَةً لهم ، فأمرهم بالسجود إلى قبلتهم ، وفيه ضرب من التعظيم(١٤١).

وأصل السجود الخضوع والتطامن ، قال الشاعر :

بِجَمْعٍ تَضِلُّ ٱلْبُلْقُ فِي حُجُرَاتِهِ تَرَى ٱلأُكْمَ فِيهِ سُجَّداً لِلْحَوافِرِ(*)

وسمي سجود الصلاة سجوداً ، لما فيه من الخضوع والتطامن ، فسجد الملائكة لآدم طاعةً لأمر الله تعالى إلا إبليس أَبَىٰ أن يسجُدَ له حَسَداً واستكباراً .

وآختلفوا في إبليس ، هل كان من الملائكة أم لا ؟ على قولين :

أحدهما : أنه كان من الملائكة ، وهذا قول ابن عباس ، وابن مسعود ، وابن المسيب ، وابن جريج ، لأنه استثناء منهم ، فَدَلَّ على دخوله منهم .

والثاني : أنه ليس من الملائكة ، وإنما هو أبو الجن ، كما أن آدم أبو الإنس ، وهذا قول الحسن(١٤٢) وقتادة وابن زيد ، ولا يمتنع جواز الاستثناء من غير جنسه ، كما قال تعالى : ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ﴾ ،[النساء:١٥٧] وهذا استثناء منقطع .

وآختُلِفَ في تَسْمِيتِهِ بإبليس على قولين :

أحدهما : أنه اسم أعجمي وليس بمشتقٍّ .

والثاني : أنه اسمٌ اشتقاقٍ ، اشتُقَّ من الإبلاس وهو اليأس من الخَيْرِ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٤] أي آيِسُونَ من الخير، وقال العجَّاجُ :

يَا صَاحِ هَلْ تَعْرِفُ رَسْماً مُكْرَساً قَالَ نَعَمْ أَعْرِفُهُ ، وَأَبْلَسَا(١٤٣)

فأمَّا من ذهب إلى أن إبليس كان من الملائكة ، فاختلفوا في قوله تعالى :

---

(١٤١) وقد رد هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية . ووصف قائله بقوله : وقد قال بعض الأغبياء إن السجود إنما كان لله وجُعِلَ آدم قبلة لهم . . . اهـ . وارتضى القول الأول ونصره أنظر : [مجموع الفتاوى : ٤/٣٥٨] وما بعدها .

(١٤٢) وقول الحسن في أصل إبليس قال ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط ، وأنه أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس . رواه الطبري [برقم ٦٩٦].
وقال الحافظ ابن كثير : وهذا إسناد صحيح عن الحسن (١/٧٧) .

(١٤٣) ديوان العجاج (ص ١/٣١)، الكامل (١/٣٥٢) .

هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾

إن الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم الأيسر بعد أن ألقى عليه النوم ، ولذلك قيل للمرأة : ضلع أعوج .

وسُمِّيت امرأةً لأنها خُلِقَتْ مِنَ المرءِ ، فأما تسميتها حواء ، ففيه قولان :

أحدهما : أنها سميت بذلك لأنها خلقت من حَيٍّ ، وهذا قول ابن عباسٍ ، وابن مسعود .

والثاني : أنها سميت بذلك ، لأنها أم كل حَيٍّ .

واختُلِف في الوقت الذي خلقت فيه حواءُ على قولين :

أحدهما : أن آدم أُدْخِلَ الجَنَّةَ وَحْدَهُ ، فَلَمَّا آستوحش خُلِقَتْ حواءُ من ضِلْعِهِ بعد دخوله في الجنة ، وهذا قول ابن عباسٍ ، وابن مسعود .

والثاني : أنها خلقت من ضلعه قبل دخوله الجنة ، ثم أُدْخِلا معاً إلى الجنةِ ، لقوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ ، وهذا قول أبي إسحاق .

واختلف في الجَنَّةِ التي أُسْكِنَاهَا على قولين :

أحدهما : أنها جنةُ الخُلد .

والثاني : أنها جنةٌ أعدها الله لهما ، والله أعلم(١٤٦) .

قوله عز وجل : ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ .

في الرغدِ ثلاثةُ تأويلاتٍ :

---

(١٤٦) وقد بسط أدله الفريقين الإمام ابن القيم في كتابه حادي الأرواح فراجعه فإنهم مهم (ص٢١ـ ٤٢) ثم اعلم أن أكثر السلف على أنها جنة الخلد وقد ألف بعضهم فيها مصنفاً نصر فيه هذا القول.

﴿أُنزِلَ إِلَيْهِم خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾ [سورة آل عمران الآية: ١٩٩] قالوا: فإنه كان لا يصلي إلى القبلة(٢٢٧)، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾.

والسادس: أن سبب نزولها أن الله تعالى لما أنزل قوله: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ قالوا إلى أين؟ فنزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

والسابع: أن معناه وحيثما كنتم من مشرق أو مغرب، فلكم قبلة تستقبلونها، يعني جهة إلى الكعبة، وهذا قول مجاهد.

ويجيء من هذا الاختلاف في قوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ تأويلان:

أحدهما: معناه فثم قبلة(٢٢٨) الله.

والثاني: فثم الله تعالى، ويكون الوجه عبارة عنه، كما قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧].

وأما ﴿ثَمَّ﴾ فهو لفظ يستعمل في الإشارة إلى مكان، فإن كان قريباً قيل: (هنا زيد)، وإن كان بعيداً قيل: (هناك زيد).

وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾

(٢٢٧) رواه ابن جرير (٢/٥٣٣) ونسبه السيوطي في الدر (١/٢٦٧) لابن المنذر وقال الحافظ ابن كثير (١/٢٩١) هو غريب وسياقه يدل على ضعفه ونكارته، وقال الشيخ أحمد شاكر في تخريج الطبري (٢/٥٣٣) حديث ضعيف لأنه مرسل.

ملاحظة: نسبة الحديث إلى أبي قتادة الصحابي خطأ لعله من الناسخ فإن الحديث معروف من حديث قتادة وليس معروفاً من حديث أبي قتادة الصحابي فما وقع في نسخه المخطوطة خطأ وكذا ما وقع في المطبوعة.

(٢٢٨) والصحيح في تأويل هذه الآية وغيرها من آيات الصفات إثبات الصفة على الوجه اللائق لله تعالى وهذه الآية فيها إثبات صفة الوجه لله تعالى وأما تفسير الوجه بالقبلة أو أنه عبارة عن الذات فهذا لا يعرف في اللغة كما أن إضافة الوجه لله في الآيات من باب إضافة الصفة إلى الموصوف بها وقد رد العلامة ابن القيم على من أوّل هذه الصفة بستة وعشرين وجهاً؛ انظرها في مختصر الصواعق المرسلة ص ٣٣٥ وما بعدها.

والثاني : محمد ، وهو قول السدي .

والثالث : القرآن ، وهو قول ابن جريج .

والرابع : الإسلام .

﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ يعني عزيز في نفسه ، حكيم في فعله .

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ ﴾ ، قرأ قتادة ﴿ فِي ظِلَالٍ الغَمَامِ ﴾ وفيه تأويلان :

أحدهما : أن معناه إلا أن يأتيهم(٢٩٩) الله بظلل من الغمام ، وبالملائكة .

والثاني : إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام .

سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾

قوله تعالى : ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَاهُم مِّن ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ ﴾ ليس السؤال على وجه الاستخبار ، ولكنه على وجه التوبيخ .

وفي المراد بسؤاله بني إسرائيل ، ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنبياؤهم .

والثاني : علماؤهم .

والثالث : جميعهم . والآيات البينات : فَلْقُ البحر ، والظلل من الغمام ، وغير ذلك .

---

(٢٩٨) وهذا الإتيان المذكور في الآية حقيقي لله تعالى على الوجه اللائق به سبحانه قد ذكره الله تعالى في آيات أخرى فيا هذا عليك بمذهب السلف الصالح وطريقتهم ودع ما سواه ومذهبهم معروف كالشمس .

﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ يعني زيادة في العلم وعظماً في الجسم . واختلفوا هل كان ذلك فيه قبل الملك ؟ فقال وهب ابن منبه ، والسدي : كان له ذلك قبل الملك ، وقال ابن زيد : زيادة ذلك بعد الملك .

﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ وفي واسع ثلاثة أقاويل :

أحدها : واسع الفضل ، فحذف ذكر الفضل اكتفاء بدليل اللفظ ، كما يقال فلان كبير ، بمعنى كبير القَدْر .

الثاني : أنه بمعنى مُوسِع النعمة على مَنْ يشاء من خلقه .

والثالث : أنه بمعنىٰ ذو سعة .

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ : إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِ ﴾ أي علامة ملكه ﴿ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ﴾ قال وهب بن منبه : كان قدر التابوت ثلاثة أذرع في ذراعين .

﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ مِن رَّبِّكُم ﴾ وفي السكينة ستة تأويلات :

أحدها : ريح هفافة لها وجه[٣٣٨] كوجه الإنسان ، وهذا قول عليّ عليه السلام .

---

(٣٣٨) قال الشوكاني رحمه الله في فتح القدير عند هذه الآية : هذه التفاسير المتناقضة لعلها وصلت إلى هؤلاء الأعلام من جهة اليهود أقماهم الله فجاءوا بهذه الأمور بقصد التلاعب بالمسلمين رضي الله عنهم والتشكيك عليهم . وانظر إلى جعلهم لها تارة حيواناً وتارة جماداً وتارة شيئاً لا يعقل كقول مجاهد كهيئة الريح لها وجه كوجه الهر وجناحان وذنب مثل ذنب الهر وهكذا كل منقول عن بني إسرائيل يتناقض ويشتمل على ما لا يعقل في الغالب ولا يصح أن يكون مثل هذه التفاسير المتناقضة مروياً عن النبي ﷺ ولا رأياً رآه قائله فمن أجل قدراً من التفسير بالرأي ومما لا مجال للاجتهاد فيه إذا تقرر لك هذا عرفت أن الواجب الرجوع في مثل ذلك إلى معنى السكينة لغة وهو معروف ولا حاجة إلى ركوب هذه الأمور المتعسفة المتناقضة فقد جعل الله عنها سعة . اهـ .

المجلد الثاني

صفحـــة:

١٠ ـ ٥١ ـ ٥٢
١١٦ ـ ١١٨ ـ ٢٠٣
٢٢٩ ـ ٢٥٩ ـ ٢٨٠
٣٨٠ ـ ٤٦٩

قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾ فيها تأويلان :

أحدهما : أنه كل ما له نفس سائلة من دواب البر وطيره .

والثاني : أنه كل ما فارقته الحياة من دواب البر وطيره بغير ذكاة .

﴿ وَٱلدَّمُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن الحرام منه ما كان مسفوحاً كقوله تعالى : ﴿ أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً ﴾ .

الثاني : أنه كل دم مسفوح وغير مسفوح ، إلا ما خصته السنة من الكبد والطحال(٧) . فعلى القول الأول لا يحرم السمك ، وعلى الثاني يحرم .

﴿ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن التحريم يختص بلحم الخنزير دون شحمه ، وهذا قول داود .

والثاني : أنه يعم اللحم وما خالطه من شحم وغيره ، وهو قول الجمهور ، ولا فرق بين الأهلي منه والوحشي .

﴿ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِ ﴾ يعني ما ذبح لغير الله من الأصنام والأوثان(٨) ، وأصله من استهلال الصبي إذا صاح حين يسقط من بطن أمه ، ومنه إهلال المُحْرِم بالحج والعمرة ، قال ابن أحمر :

---

(٧) وذلك لحديث أحلت لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالسمك الجراد وأما الدمان فالكبد والطحال وقد اختلف في رفعه ووقفه فرواه الشافعي (٢/ ٤٢٥) وأحمد (٢/ ٩٧) وابن ماجة (٣٣١٤) من حديث عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم عن زيد بن أسلم عن ابن عمر مرفوعاً . وعبد الرحمٰن ضعيف وأخرجه الدارقطني (ص ٥٣٩، ٥٤٠) من طريق علي بن مسلم عن عبد الرحمٰن ومن طريق مطرف عن عبد الله عن أبيهما زيد بن أسلم عن ابن عمر مرفوعاً . ورواه البيهقي (١/ ٢٥٤) من طريق ابن وهب عن سليمان بن بلال عن زيد بن أسلم عن ابن عمر موقوفاً ثم قال وهذا إسناد صحيح ثم رجحه على المرفوع وتعقبه ابن التركماني في الجوهر النقي بأن الرفع زيادة ثقة . وعلى كل حال فهذا الحديث وإن كان موقوفاً لفظاً فهو مرفوع حكماً لأن قول الصحابي أحل لنا كذا أو حرم علينا كذا من قبيل المرفوع سواء أسنده إلى النبي أو لم يسنده على القول المختار عند أهل الحديث .

(٨) ويدخل في ما ذبح وأهل لغير الله ما يصنعه عباد القبور عند المقامات والأضرحة من الذبح لأهلها والنذر لهم وتقديم القرابين لهم وطلب المدد منهم والاستغاثة بهم وهم لا يدرون أو هم غافلون عن قوله تعالى : ﴿إن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله﴾ وقوله ﷺ «لعن الله من ذبح لغير الله . . . » الحديث رواه مسلم .

لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أي مقبوضة عن العطاء على جهة البخل ، قاله ابن عباس وقتادة .

والثاني : مقبوضة عن عذابهم ، قاله الحسن .

قال الكلبـي ومقاتل : القائل لذلك فنحاس وأصحابه من يهود بني قينقاع .

﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه قال ذلك إلزاماً لهم البخل على مطابقة الكلام ، قاله الزجاج .

والثاني : أن معناه غلت أيديهم في جهنم على وجه الحقيقة ، قاله الحسن .

﴿ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ﴾ قال الكلبي : يعني يعذبهم بالجزية .

ويحتمل أن يكون لَعْنُهم هو طردهم حين أجلوا من ديارهم .

﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أن اليدين ها هنا النعمة من قولهم لفلان عندي يد أي نعمة ، ومعناه بل نعمتاه مبسوطتان ، نعمة الدين ، ونعمة الدنيا .

والثاني : اليد ها هنا القوة كقوله تعالى : ﴿ أُولِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَارِ ﴾ [ص: ٤٥] ومعناه بل قوتاه بالثواب والعقاب .

والثالث : أن اليد ها هنا الملك من قولهم في مملوك الرجل هو : ملك يمينه ، ومعناه ملك الدنيا ولآخرة

والرابع : أن التثنية للمبالغة في صفة[٣٨] النعمة كما تقول العرب لبيك وسعديك ، وكقول الأعشى :

---

(٣٨) اعلم رحمني الله وإياك أن الإمام الماوردي رحمه الله قد نقل الأقوال التي أوردها الطبري كلها إلى تفسير اليدين والعجيب أن الطبري ذكر القول الخامس وهو قول أهل السنة أن اليدين صفة من صفات الله تعالى نثبتها على مراد الله . . أقول من العجب أن لا يذكر الإمام الماوردي هذا القول الخامس . على أنه في هذه الأقوال التي أتى بها لم يصلح قول منها أن يكون تفسيراً لليدين لأن كل هذه التفاسير الأربعة لليد من تأويلات المعطلة والمؤولة وقد عرفناك الصواب في مثل هذه المواطن فعليك باتباع سلف الأمة في هذه

يداك يدا مجد فكف مفيدة وكف إذا ما ضنَّ بالزاد تنفق (٣٩)

﴿ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : بمعنى أنه يعطي من يشاء من عباده إذا علم أن في إعطائه مصلحة دينه .

والثاني : ينعم على من يشاء بما يصلحه في دينه .

﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً ﴾ يعني حسدهم إياه وعنادهم له .

﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه عنى اليهود بما حصل منهم من الخلاف .

والثاني : أنه أراد بين اليهود والنصارى في تباين قولهم في المسيح ، قاله الحسن .

قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَاةَ وَٱلإِنجِيلَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أقاموها نصب أعينهم حتى إذا نظروا ما فيها من أحكام الله تعالى وأوامره لم يزلوا .

والثاني : إن إقامتها العمل بما فيها من غير تحريف ولا تبديل .

ثم قال تعالى : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ يعني القرآن لأنهم لما خوطبوا به صار منزلاً عليهم .

﴿ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنه أراد التوسعة عليهم كما يقال هو في الخير من قرنه إلى قدمه

والثاني : لأكلوا من فوقهم بإنزال المطر ، ومن تحت أرجلهم بإنبات الثمر ، قاله ابن عباس .

= الآيات والأحاديث الخاصة بصفات (الرب تعالى) . . ومذهب أوضح من الشمس في رابعة النهار إيمان بلا تعطيل وإثبات بلا تمثيل .

(٣٩) ديوانه : ١٥٠ .

يعلمه إلا الله أو من أطلعه الله تعالى على علمه من أنبيائه ، وأما الماضي فقد يعلمه المخلوقون من أحد الوجهين : إما من معاينة أو خبر ، فإن كان الإخبار عن مستقبل ، فهو من آيات الله المعجزة ، وإن كان عن ماض فإن علم به غير المخبر والمخبَر لم يكن معجزاً ، وإن لم يعلم به أحد وعلم به المخبِر وحده كان معجزاً ، فنفىٰ رسول الله ﷺ عن نفسه علم الغيب ، لأنه لا يعلمه غير الله تعالى ، وإن ما أخبر به من غيب فهو عن الله ووحيه .

﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه يريد أنه لا يقدر على ما يعجز عنه العباد ، وإن قدرت عليه الملائكة .

والثاني : أنه يريد بذلك أنه من جملة البشر وليس بمَلَك ، لينفي عن نفسه غُلُوَّ النصارىٰ في المسيح وقولهم : إنه ابن الله .

ثم في نفيه أن يكون ملكاً وجهان :

أحدهما : أنه بَيَّنَ بذلك فضل الملائكة على الأنبياء[٩٢]، لأنه دفع عن نفسه منزلة ليست له .

والثاني : أنه أراد إني لست ملكاً في السماء ، فأعلم غيب السماء الذي تشاهده الملائكة ويغيب عن البشر ، وإن كان الأنبياء أفضل من الملائكة مع غيبهم عما تشاهده الملائكة .

﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أن أخبركم إلا بما أخبرني الله به[٩٣].

---

(٩٢) والعجيب أن البعض قد استدل بهذه الآية على تفضيل الملائكة على الأنبياء قال العلامة الشوكاني في فتح القدير (٢/ ١١٨) «وقد اشتغل بهذه المفاضلة قوم من أهل العلم ولا يترتب على ذلك فائدة دينية ولا دنيوية بل الكلام في مثل هذا من الاشتغال بما لا يعني ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» اهـ وبنحو كلامه قال الألوسي في روح المعاني (٧/ ١٥٥).

(٩٣) انظر أيها القارىء الكريم إلى هذه الآية بعين الاعتبار والتدبر فإنها تنادي بأعلى صوت أن رسول الله ﷺ مرسل من عند الله وله منزلة أنزله الله إياها فلا يجوز لأحد أن يرفعه فوق هذه المنزلة فأين أصحاب نهج البردة الذين يرددون في الموالد والحضرات .

دع ما ادعته النصارى في نبيهم . . . واحكم بما شئت فيّ واحتكم .

فنسأل الله لنا ولهم الهداية .

والرابع : أنه عبادة الله ، قاله الضحاك .

ومعنى قوله : ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يريدون بدعائهم ، لأن العرب تذكر وجه الشيء إرادة له مثل قولهم : هذا وجه الصواب تفخيماً للأمر وتعظيماً .

والثاني : معناه يريدون طاعته لقصدهم الوجه الذي وجَّههُم(٩٧) إليه .

﴿ مَا عَلَيكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : يعني ما عليك من حساب عملهم من شيء من ثواب أو عقاب .

﴿ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ يعني وما من حساب عملك عليهم من شيء ، لأن كل أحد مؤاخذ بحساب عمله دون غير ، قاله الحسن .

والثاني : معناه ما عليك من حساب رزقهم وفقرهم من شيء .

والثالث : ما عليك كفايتهم ولا عليهم كفايتك ، والحساب الكفاية كقوله تعالى : ﴿ عَطَاءً حِسَاباً ﴾ [النبأ: ٣٦] أي تاماً كافياً ، قاله ابن بحر .

قوله عز وجل : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ يعني لاختلافهم في الأرزاق ، والأخلاق ، والأحوال .

وفي إفتان الله تعالى لهم قولان :

أحدهما : أنه ابتلاؤهم واختبارهم ليختبر به شكر الأغنياء وصبر الفقراء ، قاله الحسن ، وقتادة .

والثاني : تكليف ما يشق على النفس مع قدرتها عليه .

﴿ لِّيَقُولُوٓاْ(٩٨) أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ﴾ وهذا قول الملأ من قريش

= بسنده عن ابن جعفر قال كان يقرئهم القرآن من الذي يقص على النبي ﷺ؟ قلت فأراد أبو جعفر رحمه الله تعليمهم القرآن وقراءته ويؤيد ما ذهبت إليه أن ابن الجوزي رحمه الله أورد هذا القول في زاد المسير (٤٦/٣) وقال: «الرابع : أنه تعلم القرآن غدوة وعشية» قال أبو جعفر اهـ. ولعل هذا سبق قلم من الناسخ والله أعلم .

(٩٧) وما ذكره المؤلف هنا من القولين لا يستقيم والصواب إثبات صفة الوجه لله تعالى على ما يليق بذاته وعظمته كما هو مذهب أهل السنة فعليك به .

(٩٨) واللام في قوله ﴿ليقولوا﴾ للتعليل وليس للعاقبة فإن لام العاقبة تكون في حق من هو جاهل أو

والرابع: خلقناكم في بطون امهاتكم، ثم صورناكم فيها بعد الخلق بشق السمع والبصر، قاله معمر(٢١٩).

﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ فإن قيل فالسجود عبادة لا تجوز إلا لله تعالى، فكيف أمر به لآدم عليه السلام؟ قيل: فيه لأهل العلم قولان:

أحدهما: أنه أمرهم بالسجود له تكرمة وهو لله تعالى عبادة.

والثاني: أنه جعله قبلة سجودهم لله تعالى(٢٢٠):

فإن قيل: فالأمر بالسجود لآدم قبل تصوير ذريته، فكيف قال: ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾؟

فعن ذلك ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه صورهم في صلب آدم ثم قال للملائكة: اسجدوا.

والثاني: معناه ثم صورناكم ثم أخبرناكم بأنّا قلنا للملائكة: اسجدوا.

والثالث: أي في الكلام تقديماً وتأخيراً، وتقديره: ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ثم صورناكم.

وفيه جواب رابع أنكره بعض النحويين وهو: أن ﴿ثُمَّ﴾ هنا بمعنى الواو، قاله الأخفش.

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾

---

(٢١٩) والذي في الطبري (١٢/ ٣٢٠) أن هذا القول نقله معمر عن رجل ولم يصرح باسمه فليس هذا القول من قول معمر وإليك ما في الطبري قال حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال حدثنا محمد بن ثور عن معمر عمن ذكره قال «خلقناكم ثم صورناكم» قال خلق الله الإنسان في الرحم ثم صوّره فشق سمعه وبصره وأصابعه اهـ.

(٢٢٠) وقد ورد هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/ ٣٥٨) وما بعدها من عدة وجوه ووصف قائل هذا القول بما لفظه «وقد قال بعض الأغبياء إن السجود إنما كان لله وجعل آدم قبلة له» ثم شرع في الرد.

والثاني: تركوا العمل به، قاله الزجاج.

﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنبياء الله في الدنيا بكتبه المنذرة.

والثاني: الملائكة عند المعاينة بما بشروهم به من الثواب والعقاب.

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ وفي ترك تعجيل خلقها في أقل الزمان مع قدرته على ذلك أربعة أوجه:

أحدها: أن إنشاءها شيئاً بعد شيء وحالاً بعد حال أبلغ في الحكمة وأدل على صحة التدبير ليتوالى مع الأوقات بما ينشئه من المخلوقات تكرار المعلوم بأنه عالم قادر يصرف الأمور على اختياره ويجريها على مشيئته.

والثاني: أن ذلك لاعتبار الملائكة، خلق شيئاً بعد شيء.

والثالث: أن ذلك ترتب على الأيام الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة وهي ستة أيام فأخرج الخلق فيها، قاله مجاهد.

والرابع: ليعلمنا بذلك: الحساب كله من ستة ومنه يتفرع سائر العدد قاله ابن بحر.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: معناه استوىٰ أمره على العرش، قاله الحسن.

والثاني استولى على العرش(٢٥٥)، كما قال الشاعر:

قد اسْتَوَى بِشْرٌ على العِرَاقِ مِن غَيْرِ سَيْفٍ ودم مُهْرَاقِ

(٢٥٥) راجع ما كتبناه على صفة الاستواء والعلو في سورة البقرة عن قوله «ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات» واعلم أن المؤلف لم يأت هنا بقول السلف في هذه الصفة والبيت الذي ذكره هنا لا يعرف قائله وإن عرف فليس هو حجة في اللغة حتى يقبل وقد أطنب ابن القيم في إبطال الاحتجاج بهذا البيت على التأويل المذكور فراجع ما كتب حوله في مختصر الصواعق.

قال ابن عباس(*): أخذته الغشية عشية الخميس من يوم عرفة وأفاق عشية الجمعة وفيه نزلت عليه التوراة وهو يوم النحر العاشر من ذي الحجة، وفيها عشر أيات أنزلها الله في القرآن على محمد ﷺ في ثماني عشرة من سورة بني إسرائيل.

﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه تاب من الإقدام على المسألة قبل الإذن فيها.

والثاني: أنه تاب من اعتقاده جواز رؤيته في الدنيا.

والثالث: أنه قال ذلك على جهة التسبيح وعادة المؤمنين عند ظهور الآيات الدالة على عظيم قدرته.

﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أول المؤمنين بأنه لا يراك شيء من خلقك، قاله ابن عباس، والحسن.

والثاني: وأنا أول المؤمنين من قومي باستعظام سؤال الرؤية.

قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾

قوله عز وجل: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ . . .﴾ الآية في ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ﴾ قولان:

أحدهما: فرضنا، كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] أي فرض.

والثاني: أنه كتابة خط بالقلم في ألواح أنزلها الله عليه (٢٨٥).

واختلفوا في الألواح (٢٨٦) من أي شيء كانت على أربعة أقاويل:

(*) قول ابن عباس هذا سقط من نسخة للمخطوطة وكتب مكانه «هذا لم يثبت» أي القول الثاني.

(٢٨٥) والقول الثاني أرجح فقد ثبت أن الله تعالى كتب التوراة بيده كما في الحديث الصحيح راجع التوحيد لابن خزيمة ص ٥٣ ـ ٥٧.

(٢٨٦) أنت خبير بأن هذا الاختلاف من مثل هذا لا طائل تحته قال، العلامة الشوكاني في فتح القدير

وفي قوله: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنهَا﴾ وجهان:

أحدهما: فانسلخ(٣١١) من العلم بها لأنه سيسلب ما أوتي منها بالمعصية.

والثاني: أنه انسلخ منها أي من الطاعة بالمعصية مع بقاء علمه بالآيات حتى حكي أن بلعام رُيثي على أن يدعو على قوم موسى بالهلاك فسها فدعا على قومه فهلكوا.

﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَانُ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الشيطان صيره لنفسه تابعاً بإجابته له حين أغواه.

والثاني: أن الشيطان متبع من الإنس على ضلالته من الكفر.

والثالث: أن الشيطان لحقه فأغواه، يقال اتبعت القوم إذا لحقتهم، وتبعتهم إذا سرت خلفهم، قاله ابن قتيبة.

﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من الهالكين.

الثاني: من الضالين.

قوله عز وجل: ﴿وَلَوشِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني لأمتناه فلم يكفر.

والثاني: لحلنا بينه وبين الكفر فيصير إلى المنزلة المرفوعة معصوماً، قاله مجاهد.

﴿وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي ركن إليها. وفي ركونه إليها وجهان:

أحدهما: أنه ركن إلى أهلها في استنزالهم له ومخادعتهم إياه.

والثاني: أنه ركن إلى شهوات الأرض فشغلته عن طاعة الله، وقد بين ذلك قوله تعالى ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ﴾.

ثم ضرب مثله بالكلب ﴿. . . إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ وفي تشبيهه بالكلب اللاهث وجهان:

أحدهما: لدناءته ومهانته.

الثاني: لأن لهث الكلب ليس بنافع له.

---

(٣١١) وقد أبدع العلامة ابن القيم رحمه الله في الفوائد ص ٩١؛ ٩٢ في شرح هذه الآية فراجعه هناك.

وروى مكحول عن أبي الدرداء أنه(٤٦٣) سأل رسول الله ﷺ عن صفة المنافق:

فقال «**إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا ٱؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وَإِذَا عَاهَدَ نَقَضَ، لَا يَأْتِي ٱلصَّلَاةَ إِلَّا دُبُراً وَلَا يَذْكُرِ ٱللَّهَ إِلَّا هَجْراً**».

كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾

قوله عز وجل ﴿. . **فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ**. .﴾.

قيل بنصيبهم من خيرات الدنيا.

ويحتمل استمتاعهم باتباع شهواتهم.

وفيه وجه ثالث: أنه استمتاعهم بدينهم الذي أصروا عليه.

﴿**وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْ**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في شهوات الدنيا.

والثاني: في قول الكفر.

وفيهم قولان:

أحدهما: أنهم فارس والروم.

والثاني: أنهم بنو اسرائيل(٤٦٤).

أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا

---

(٤٦٣) هذا الحديث منقطع بين مكحول وأبي الدرداء ويغني عنه حديث أبي هريرة مرفوعاً آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر. رواه البخاري (١/ ٨٣) ومسلم (٥٩ في الإيمان) الترمذي (٢٦٣٣) النسائي (٨/ ١١٧) وفي الباب عن ابن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص.

(٤٦٤) وقد أفاض شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم في استخراج تواتر هذه الآية فراجعها فإنها مهمة للغاية.

مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾

قوله عزوجل ﴿وأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أنه لن يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ حقق الله تعالى استدامة كفرهم تحقيقاً لنزول الوعيد بهم، قال الضحاك: فدعا عليهم لما أُخبر بهذا فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً. إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً﴾ [نوح: ٢٦ ـ ٢٧].

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فلا تأسف ومنه قول يزيد بن عبد المدان(٥٨٢):

فارسُ الخيل إذا ما ولولت ربّةُ الخِدر بصوتٍ مبتئس

الثاني: فلا تحزن، ومنه قول الشاعر(٥٨٣):

وكم من خليلٍ أو حميم رُزئته فلم أبتئس والرزءُ فيه جَليلُ

والابتئاس: الحزن في استكانة، وأصله من البؤس، وفي ذلك وجهان:

أحدهما: فلا تحزن لهلاكهم.

الثاني: فلا تحزن لكفرهم المفضي إلى هلاكهم.

قوله عزوجل: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدهما: بحيث نراك، فعبر عن الرؤية بالأعين لأن بها تكون الرؤية.

الثاني: بحفظنا إياك حفظ من يراك(٥٨٤).

---

(٥٨٢) هو يزيد بن عبد الله المدان من اليمن وهو شاعر أقبل مع خالد بن الوليد مع قومه إلى رسول الله ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة له ترجمة في الإصابة (٩٢٨٨) وفي سيرة ابن هشام (٤/ ٢٤٠).

(٥٨٣) فتح القدير (٢/ ٤٩٧).

(٥٨٤) اعلم أيها القارىء الكريم أن الرب تبارك وتعالى أخبر في كتابه أن له صفة العين وأخبر رسوله ﷺ كذلك في غير ما حديث صحيح وهذه الصفة نثبتها كما جاءت من غير تشبيه ولا تمثيل وعلى هذا الإثبات والنفي درج سلفنا الصالح رحمهم الله إلى أن ظهر المؤلون الذين أصابوا بتأويلهم مقاتل النصوص القرآنية والنبوية، حيث أولوا كل حديث من صفات الله تعالى وخرجوا بذلك عن سبيل أهل السنة والجماعة وتنكبوا طريقة السلف الصالح وظنوا أن في إثبات النصوص على ظاهرها يقتضي التشبيه وهذه دعوى عريضة ليس لها مستند والمسلم البصير بأمر دينه يكفيه أن يسمع قول الله تعالى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ فيعلم أن الله تعالى لا =

المجلد الثالث

صفحة:

٦٤ –
٢٩٦ – ٣٨١
٤٠٤ – ٤١٣

﴿كذلك كدنا ليوسُف﴾ فيه وجهان:

أحدهما: صنعنا ليوسف قاله الضحاك.

والثاني: دبّرنا ليوسف[١٢٢]، قاله ابن عيسى.

﴿ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: في سلطان الملك، قاله ابن عباس.

والثاني: في قضاء الملك، قاله قتادة.

والثالث: في عادة الملك، قال ابن عيسى: ولم يكن في دين الملك استرقاق من سرق. قال الضحاك: وإنما كان يضاعف عليه الغرم.

﴿إلا أن يشاء الله﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلا أن يشاء الله أن يُسْتَرق من سرق.

والثاني: إلا أن يشاء الله أن يجعل ليوسف عذراً فيما فعل.

﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾

قوله عز وجل: ﴿قالوا إن يسرق فقد سَرَق أخ له من قبلُ﴾ يعنون يوسف. وفي هذا القول منهم وجهان:

أحدهما: أنه عقوبة ليوسف أجراها الله تعالى على ألسنتهم، قاله عكرمة.

والثاني: ليتبرأوا بذلك من فعله لأنه ليس من أمهم وأنه إن سرق فقد جذبه عِرق أخيه السارق لأن في الاشتراك في الأنساب تشاكلاً في الأخلاق.

وفي السرقة التي نسبوا يوسف إليها خمسة أقاويل:

أحدها: أنه سرق صنماً كان لجده إلى أمه من فضة وذهب، وكسره وألقاه في الطريق فعيّروه بذلك، قاله سعيد بن جبير وقتادة.

---

(١٢٢) راجع ما كتبه العلامة ابن القيم رحمه الله حول الحيل المشروعة والحيل الباطلة في إغاثة اللهفان (١/ ٣٦١ ـ ٢/ ١ ـ ٦٣) وقال الشوكاني في فتح القدير (٣/ ٤٣) «وفي الآية دليل على جواز التوصل إلى الأغراض الصحيحة بما صورته صورة الحيلة والمكيدة إذا لم يخالف ذلك شرعاً ثابتاً.

وفي تنازعهم قولان:

أحدهما: أنهم تنازعوا هل هم أحياء أم موتى؛

الثاني: أنهم تنازعوا بعد العلم بموتهم هل يبنون عليهم بنياناً يعرفون به أم يتخذون عليهم مسجداً(٤٩٨).

وقيل: إن الملك أراد أن يدفنهم في صندوق من ذهب، فأتاه آت منهم في المنام فقال: أردت أن تجعلنا في صندوق من ذهب فلا تفعل فإنا من التراب خلقنا وإليه نعود فدعْنا.

سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾

(٤٩٨) وإن تعجب أيها القارىء فعجب استدلال بعضهم بجواز بناء المساجد على القبور بهذه الآية تاركاً الأدلة الصارخة بأعلى صوت بتحريم بناء المساجد على القبور وقد وردت الأدلة متواترة في السنن جمعها العلامة الألباني في رسالته تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد فراجعها ورحم الله العلامة الآلوسي حيث قال (١٥/٢٣٧) روح المعاني واستدل بالآية على جواز البناء على قبور الصلحاء واتخاذ مسجد عليها وجواز الصلاة في ذلك وممن ذكر ذلك الشهاب الخفاجي في حواشيه على البيضاوي وهو قول باطل عاطل فاسد كاسد... ثم شرع في إيراد الأحاديث الواردة في النهي عن بناء المساجد على القبور ثم قال «وبالجملة لا ينبغي لمن له أدنى رشد أن يذهب إلى خلاف فانطقت به الأخبار الصحيحة والآثار الصريحة معولاً على الاستدلال بهذه الآية فإن ذلك في الغواية غاية وفي قلة النهى نهاية وقد رأيت من يبيح ما يفعله الجهلة في قبور الصالحين من إشرافها وبنائها بالجص والآجر وتعليق القناديل عليها والصلاة إليها والطواف بها واستلامها والاجتماع عندها من أوقات مخصوصة إلى غير ذلك محتجاً بهذه الآية الكريمة وبما جاء في بعض روايات القصة من جعل الملك لهم في كل سنة عيداً وجعله إياهم في توابيت من ساج البعض على البعض وكل ذلك محادة لله ورسوله وإبداع دين لم يأذن به الله عز وجل ويكفيك في معرفة الحق تتبع ما صنع أصحاب رسول الله ﷺ في قبره عليه الصلاة والسلام وهو أفضل قبر على وجه الأرض اهـ. وبعد هذا أليق أيها القارىء أن يجمع مؤلف فتاوى شذ فيها بعض أهل العلم ليحتج بها على بناء المساجد على القبور كما صنع الغماري الكبير في رسالته إحياء المقبور باستحباب رفع القباب على القبور.

اللهم اهدنا سبل السلام.

أحدهما : إلا السلامة .

الثاني : تسليم الملائكة عليهم ، قاله مقاتل .

﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن العرب إذا أصابت الغداء والعشاء نعمت، فأخبرهم الله أن لهم في الجنة غداء وعشاء ، وإن لم يكن في الجنة ليل ولا نهار .

الثاني : معناه مقدار البكرة ومقدار العشي من أيام الدنيا ، قاله ابن جريج . وقيل إنهم يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وغلق الأبواب ، ومقدار النهار[٦٥٢] برفع الحجب وفتح الأبواب .

ويحتمل أن تكون البكرة قبل تشاغلهم بلذاتهم ، والعشي بعد فراغهم من لذاتهم ، لأنه يتخللها فترات انتقال من حال إلى حال .

وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾

قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه قول أهل الجنة : إننا لا ننزل موضعاً من الجنة إلا بأمر الله ، قاله ابن بحر .

الثاني : أنه قول جبريل عليه السلام ، لما ذكر أن جبريل أبطأ على النبي ﷺ باثنتي عشرة ليلة ، فلما جاءه قال :« غِبْتَ عَنِّي حَتَّى ظَنَّ الْمُشْرِكُونَ كُلَّ ظَنٍ »[٦٥٣] فنزلت ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ .

ويحتمل وجهين :

أحدهما : إذا أُمِرْنَا نزلنا عليك .

---

(٦٥٢) ورفع إلى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله سؤالاً في الفتاوى (٤/ ٣١١) حول هذا الموضوع فأجاب «والجنة ليس فيها شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار لكن تعرف البكرة والعشية بنور يظهر من قبل العرش والله أعلم» .

(٦٥٣) رواه الطبري ١٦/ ١٠٤ بسنده عن مجاهد .

ويحتمل ثالثاً : جئت على مقدار في الشدة وتقدير المدة ، قال الشاعر(٦٩٣):

نال الخلافة أو كانت له قدراً كما أتى ربه موسى على قدر

وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾

﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ يحتمل وجهان :

أحدهما : خلقتك ، مأخوذ من الصنعة .

الثاني : اخترتك ، مأخوذ من الصنيعة .

﴿ لِنَفْسِي ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لمحبتي .

الثاني : لرسالتي(٦٩٤).

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : لا تفترا في ذكري ، قال الشاعر(٦٩٥):

فما ونى محمد مذ أن غفر له الإله ما مضى وما غبر

الثاني : لا تضعفا في رسالتي ، قاله قتادة .

الثالث : لا تبطنا ، قاله ابن عباس .

الرابع : لا تزالا ، حكاه أبان واستشهد بقول طرفة :

كأن القدور الراسيات أمامهم قباب بنوها لا تني أبداً تغلي

---

(٦٩٣) هو جرير الشاعر.

والبيت في ديوانه ٢٧٤ والطبري (١٦/١٦٨).

(٦٩٤) وهذا القول وما قبله من التأويل الغريب. فما الضير في أن نثبت لله ما أثبته لنفسه دون تعطيل أو تأويل فنقول لله نفس تليق به سبحانه ونقول كما قال الراسخون في العلم ﴿آمنا به كل من عند ربنا﴾. أليس في هذا مقنع عن هذه التأويلات الفاسدة التي كادت أن تفتك بالعقيدة الإسلامية.

(٦٩٥) هو رؤبة بن العجاج.

والبيت في ديوانه: ١٥ والطبري (١٦/١٦٨).

الثاني : إن ذلك منه على وجه الاعتبار ليظهر لهم صحة نبوته ووضوح محبته ، وأن ما أبطل السحر لم يكن سحراً .

واختلفوا في عدد السحرة فحكي عن القاسم بن أبي بزة أنهم كانوا سبعين ألف ساحر ، وحكي عن ابن جريج أنهم كانوا تسعمائة ساحر ، ثلاثمائة من العريش ، وثلاثمائة من الفيوم ، ويشكون في الثلاثمائة من الإسكندرية، وحكى أبو صالح عن ابن عباس أنهم كانوا اثنين وسبعين ساحراً ، منهم اثنان من القبط وسبعون من بني إسرائيل ، كانوا في أول النهار سحرة وفي آخره شهداء .

﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه يخيل ذلك لفرعون .

الثاني : لموسى كذلك .

﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ وفي خوف وجهان :

أحدهما : أنه خاف أن يلتبس على الناس أمرهم فيتوهموا أنهم فعلوا مثل فعله وأنه من جنسه .

الثاني : لما هو مركوز في الطباع من الحذر .وأوجس : بمعنى أسر .

﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ . . ﴾ الآية . تثبيتاً لنفسه ، وإزالة لخوفه .

قوله تعالى : ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ﴾ أي تأخذه بفيها ابتلاعاً بسرعة ، فقيل إنها ابتلعت حمل ثلاثمائة بعير من الحبال والعصي ، ثم أخذها موسى ورجعت عصا كما كانت .

وفيها قولان :

أحدهما : أنها(٧٠٧) كانت من عوسج ، قاله وهب .

الثاني : من الجنة ، قاله ابن عباس ، قال : وبها قتل موسى عوج بن عناق(٧٠٨).

---

(٧٠٧) ولا طائل تحت هذا الخلاف ولا فائدة من ذكره كما نبه على ذلك شيخ الإسلام في رسالته مقدمة في التفسير.

(٧٠٨) وقيل كان كان هذا الرجل في زمان نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام وأنه نجا من الطوفان وذكروا من =

استدراكات

المجلد الرابع

صفحة:

٧١ ـ ١٠١ ـ ١٠٦
١٠٧ ـ ٢٧٣ ـ ٣١٢
٣٤٦ ـ ٣٤٨ ـ ٣٦٢

الثاني : قدرنا فيها الحدود من قوله تعالى : ﴿ فنصف ما فرضتم ﴾ أي [البقرة: ٢٣٧] أي قدرتم، قاله عكرمة.

ومن قرأ بالتشديد ففي تأويله وجهان :

أحدهما : معناه تكثير ما فرض فيها من الحلال والحرام ، قاله ابن عيسىٰ .

الثاني : معناه بيناها ، قاله ابن عباس .

﴿ وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنها الحجج الدالة على توحيده ووجوب طاعته .

الثاني : أنها الحدود والأحكام التي شرعها .

قوله تعالى : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ وإنما قدم ذكر الزانية على الزاني لأمرين :

أحدهما : أن الزنى منها أعَرُّ ، وهو لأجل الحَبَل أضر .

الثاني : أن الشهوة فيها أكثر وعليها أغلب ، وقدر الحد فيه بمائة جلدة من الحرية والبكارة ، وهو أكثر حدود الجلد ، لأن فعل الزنى أغلظ من القذف بالزنى ، وزادت السنة على الجلد بتغريب عام بعده ، لقول رسول الله ﷺ(٦٣) : « خُذُواْ عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ، البِكْرُ بِالبِكْرِ جَلْدُ مَائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ ». ومنع العراقيون من التغريب اقتصاراً على الجلد وحده ، وفيه دفع السنة والأثر(٦٤). والجلد مأخوذ من وصول الضرب إلى الجلد. فأما المحصنان فحدهما الرجم بالسنة إما بياناً لقوله تعالى في سورة النساء : ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي ٱلْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ ٱلْمَوتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ﴾ [النساء: ١٥] على قول فريق، وإما ابتداء فرض على قول آخرين. وروىٰ زر بن حبيش عن أُبَيٍّ أن في مصحفه من سورة الأحزاب ذكر الرجم(٦٥): «إِذَا زَنَى الشَّيخُ وَالشَّيخَةُ فَارْجُمُوهُمَا البَتَّةَ نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ».

---

(٦٣) رواه مسلم (٦٩٠) وأبو داود (٤٤١٥) (٤٤١٦) وأحمد (٥/١٣) والترمذي (١٤٣٤).

(٦٤) وكم من سنة ردت بقياس فاسد والأمثلة على ذلك كثيرة وهذا منها راجع كلام العلامة ابن القيم في إعلام الموقعين حيث رد على الأصناف في تركهم العمل بهذا الحديث يدعون أنه يخالف القياس.

(٦٥) وإن مما ينادى له الجبين أن هذا الحكم المنزل من الله تعالى لم يطبق إلى الآن في بعض الأقطار =

الإماء ، البغاء الزنى . والتحصن التعفف . ولا يجوز أن يكرهها ولا يمكنها سواء أرادت تعففاً أو لم تُرِدْ .

وفي ذكر الإكراه هنا وجهان :

أحدهما : لأن الإكراه لا يصح إلا فيمن أراد التعفف ، ومن لم يرد التعفف فهو مسارع إلى الزنىٰ غير مكره عليه .

الثاني : أنه وارد على سبب فخرج النهي على صفة السبب وإن لم يكن شرطاً فيه ، وهذا ما روى جابر بن عبد الله[١١٠] أن عبد الله بن أبي بن سلول كانت له أمة يقال لها مسيكة وكان يكرهها على الزنىٰ فزنت ببُرْدٍ فأعطته إياه فقال : ارجعي فآزني على آخر فقالت : لا والله ما أنا براجعة وجاءت إلى النبي ﷺ فقالت : إن سيدي يكرهني على البغاء فأنزل الله هذه الآية ، وكان مستفيضاً من أفعال الجاهلين طلباً للولد والكسب .

﴿ لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي لتأخذوا أجورهن على الزنىٰ .

﴿ وَمَن يُكْرِههُّنَّ ﴾ يعني من السادة .

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ يعني للأمة المكرهة دون السيد المكره .

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۚ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[١١١] فيه أربعة أقاويل :

---

(١١٠) رواه الطبري (١٨/١٣٢) والنسائي (بالسنن الكبرى، كتاب التفسير (رقم ٣٨٥)).

(١١١) وقد أفاض ابن القيم رحمه الله في شرح هذه الآية في كتابه القيم اجتماع الجيوش الإسلامية فراجعه .

الثاني : يهدي الله لدلائل هدايته من يشاء من أهل طاعته .

الثالث : يهدي الله لنبوته من يشاء من عباده .

﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ﴾ الآية . وفيما ضربت هذه الآية مثلاً فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها مثل ضربه الله للمؤمن في وضوح الحق له .

الثاني : أنها مثل ضربه الله لطاعته فسمىٰ الطاعة نوراً لتجاوزها عن محلها .

الثالث : ما حكاه ابن عباس أن اليهود قالوا : يا محمد كيف يخلص نور الله من دون السماء فضرب الله ذلك مثلاً لنوره .

فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾

قوله : ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾ في هذه البيوت قولان :

أحدهما : أنها المساجد ، قاله ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد .

الثاني : أنها سائر البيوت ، قاله عكرمة .

﴿ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ أربعة أوجه :

أحدها : أن تُبْنىٰ ، قاله مجاهد كقوله : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴾ أي يبني .

الثاني : أنها تطهر من الأنجاس والمعاصي ، حكاه ابن عيسى .

الثالث : أن تعظم ، قاله الحسن .

الرابع : أن ترفع فيها الحوائج إلى الله(١١٤).

(١١٤) وإن تعجب فعجب ممن جعلوا المساجد أماكن للأضرحة ودفن الموتى وهم بذلك يفتحون باباً من الشرك حيث نجد من يشد الرحال إلى أصحاب الأضرحة ويقدم لهم النذور ويستغيث بهم وينزل بهم الحاجات فإلى الله المشتكي وبه المستعان .

﴿ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ ﴾ فيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : يتلىٰ فيها كتابه ، قاله ابن عباس .

الثاني : تذكر فيها أسماؤه الحسنىٰ ، قاله ابن جرير[١١٥] .

الثالث : توحيده بأن لا إلٰه غيره ، قاله الكلبي .

وفيما يعود إليه ذكر البيوت التي أذن الله أن ترفع قولان :

أحدهما : إلى ما تقدم من قوله : كمشكاة فيها مصباح في بيوت أذن الله .

الثاني : إلى ما بعده من قوله : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا ﴾ وفي هذا التسبيح قولان :

أحدهما : أنه تنزيه الله .

الثاني : أنه الصلاة ، قاله ابن عباس والضحاك .

﴿ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلآصَالِ ﴾ الغدو جمع غَدوة والآصال جمع أصيل وهي العشاء .

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ قال الكلبي : التجار هم الجلاب المسافرون ، والباعة هم المقيمون .

﴿ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ فيه وجهان .

أحدهما : عن ذكره بأسمائه الحسنى .

الثاني : عن الأذان ، قاله يحيى بن سلام .

﴿ تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلأَبْصَارُ ﴾ فيه خمسة أوجه :

أحدها : يعني به تقلبها على حجر جهنم .

الثاني : تقلب أحوالها بأن تلفحها النار ثم تنضجها وتحرقها .

الثالث : أن تقلب القلوب وجيبها ، وتقلب الأبصار النظر بها إلى نواحي الأهوال .

الرابع : أن تقلب القلوب بلوغها الحناجر، وتقلب الأبصار الزَّرَق بعد الكحل، والعمى بعد البصر.

---

(١١٥) جامع البيان (١٨/١٤٥).

أحدها: معناه إلا هو[٢٩٩]، قاله الضحاك.

الثاني: إلا ما أريد به وجهه، قاله سفيان الثوري.

الثالث: إلا ملكه، حكاه محمد بن إسماعيل البخاري.

الرابع: إلا العلماء فإن علمهم باق، قاله مجاهد.

الخامس: إلا جاهه كما يقال لفلان وجه في الناس أي جاه، قاله أبو عبيدة.

السادس: الوجه العمل ومنه قولهم: من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار أي عمله. وقال الشاعر[٣٠٠]:

أستغفر الله ذنباً لست محصيه ... رب العباد إليه الوجه والعمل

﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: القضاء في خلقه بما يشاء من أمره، قاله الضحاك وابن شجرة.

الثاني: أن ليس لعباده أن يحكموا إلا بأمره، قاله ابن عيسى.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة فيثيب المحسن ويعاقب المسيء، والله أعلم.

---

(٢٩٩) والصواب إثبات الوجه لله تعالى وأنه من صفاته الذاتية وهو وجه حقيقي يليق بجلال الله وذاته. وأما تفسير الوجه بالذات أو الثواب فإنه لا يعرف في اللغة فالوجه في اللغة التي خاطبنا بها ربنا في القرآن هو مستقبل كل شيء. لأن أول ما يواجه منه وهو في كل شيء بحسب ما يضاف إليه.

(٣٠٠) الطبري (٢٠/١٢٧) ولم يعرف قائل هذا البيت.

﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ فيها تأويلان:

أحدهما: صنعة الله التي خلق الناس عليها، قاله الطبري[٣٤٢].

الثاني: دين الله الذي فطر خلقه عليه، قاله ابن عباس والضحاك والكلبي يريد به الإسلام وقد روى عطاء عن النبي ﷺ أنه قال: «مِن فِطْرةِ إِبْرَاهِيمَ السِّوَاكُ»[٣٤٣] ومن قول كعب بن مالك[٣٤٤]:

إن تقتلونا فدين الله فطرتنا والقتل في الحق عند الله تفضيل

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: لا تبديل لدين الله، قاله مجاهد وقتادة.

الثاني: لا تغيير لخلق الله من البهائم أن يخصي فحولها[٣٤٥]، قاله عمر بن الخطاب وابن عباس وعكرمة.

الثالث: لا تبديل خالق غير الله فيخلق كخلق الله، لأنه خالق يخلق، وغيره مخلوق لا يخلق، وهو معنى قول ابن بحر.

ويحتمل رابعاً: لا يشقى من خلقه سعيداً ولا يسعد من خلقه شقيًّا[٣٤٦].

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: ذلك الحساب البين، قاله مقاتل بن حيان.

الثاني: ذلك القضاء المستقيم، قاله ابن عباس.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا يتفكرون فيعلمون أن لهم خالقاً معبوداً وإلهاً قديماً:

---

(٣٤٢) جامع البيان (٢١/ ٤٠).

(٣٤٣) رواه ابن أبي حاتم بسنده عن عطاء وهو مرسل كما ترى، راجع الدر (١/ ٢٧٤).

(٣٤٤) بيت من قصيدة طويلة يمدح فيها كعب رسول الله وآل بيته وفي ثبوت هذه القصيدة نظر وخلاف بين العلماء.

(٣٤٥) قال ابن القيم رحمه الله في شفاء العليل «ص ٢٨٧» ولا تنافي بين القولين:
[أي اللذين ذكرهما المؤلف هنا] كما قال تعالى ﴿ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرنَّ خلق الله﴾ فتغيير ما فطر الله عباده من الدين تغيير خلقه والخصاء وقطع آذان الأنعام تغيير للخلقة أيضاً ولهذا شبه النبي ﷺ أحدهما بالآخر فأولئك يغيرون الشريعة وهؤلاء يغيرون الخلقة فذلك يغير ما خلقت عليه نفسه وروحه وهذا يغير ما خلق عليه بدنه.

(٣٤٦) راجع شفاء العليل لابن القيم فقد بسط الموضوع في ذلك ص ٢٩٥.

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ أي ذللهما بالطلوع و الأفول تقديراً للآجال وإتماماً للمنافع.

﴿كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني إلى وقته في طلوعه وأفوله لا يعدوه ولا يقصر عنه، وهو معنى قول قتادة.

الثاني: إلى يوم القيامة، قاله الحسن.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ يعني بما تعملون في الليل والنهار.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: هو الله الذي لا إله غيره(٣٨٩)، قاله ابن كامل.

الثاني: أن الحق اسم من أسماء الله، قاله أبو صالح.

الثالث: أن الله هو القاضي بالحق.

ويحتمل رابعاً: أن طاعة الله حق.

﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَاطِلُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الشيطان هو الباطل، قاله مجاهد.

الثاني: ما أشركوا بالله تعالى من الأصنام والأوثان، قاله ابن كامل.

﴿وأن الله هو العلي الكبير﴾ أي العلي في(٣٩٠) مكانته الكبير في سلطانه.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ

(٣٨٩) وهذا يدل على أن التقدير في تفسير كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» التقدير فيها لا معبود بحق في الوجود إلا الله لأن الله تعالى أثبت في هذه الآية أن العبودية الحق لا تكون إلا له وحده. فهناك معبودات كثيرة في الوجود لكنها باطلة ضمن قدر المحذوف في قوله لا إله إلاّ الله بأن لا موجود إلاّ الله أو خالق إلاّ الله فقوله ضعيف راجع ما كتبه العلامة ابن باز على شرح الطحاوية ص ١٠٩ وما كتبه العلامة رشيد رضا في تعليقه على رسالة كلمة التقوى للعلامة ابن رجب الحنبلي.

(٣٩٠) قال العلامة ابن جرير (٢١/ ٨٤):

يقول تعالى ذكره «وبأن الله هو العلي يقول ذو العلو على كل شيء وكل ما دونه فله متذلل منقاد الكبير الذي كل شيء دونه فله متصاغر».

﴿دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ يعني موحدين له لا يدعون لخلاصهم[٣٩٢] سواه.

﴿فَلَمَّا نَجَّاهُم إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ يعني من البحر.

﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه عَدل في العهد، يفي في البر بما عاهَد الله عليه في البحر، قاله النقاش.

الثاني: أنه المؤمن المتمسك بالتوحيد والطاعة، قاله الحسن.

الثالث: أنه المقتصد في قوله وهو كافر، قاله مجاهد.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَاتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه الجاحد، قاله عطية.

الثاني: وهو قول الجمهور أنه الغدار، قال عمرو بن معدي كرب[٣٩٣].

فإنك لو رأيت أبا عمير ملأت يديك من غدرٍ وختر

وجحد الآيات إنكار أعيانها، والجحد بالآيات إنكار دلائلها.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم وَاخْشَوْاْ يَوْماً لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

---

(٣٩٢) وهذا يدل على أن المشركين كانوا يخلصون لله الدعاء عند الشدة أما في ساعة الرخاء فهم يشركون وهذا ما عليه المشرك في الجاهلية الأولى وأما أهل زماننا فبعضهم يشركون في الشدة والرخاء فعندما تحل بأحدهم مصيبة تراه يطلب المدد من الأموات ويقبل أعتاب القبور ويلقي إليهم بالنذور ويستغيث بهم من دون الله ويطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله.

وقد يقعون في الشرك بعلم وبجهل نسأل الله صلاح حال المسلمين.

(٣٩٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة واللسان مادة «ختر».

وقد أورد الطبري البيت في تفسيره (٢١ / ٨٥) وفيه «أنك لو رأيت. . .» بدون فاء.

الثاني: للصلاة ـ روى ميمون بن [٤١٥] شبيب عن معاذ بن جبل قال كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فقال: «إِنْ شِئْتَ أَنبَأْتُكَ بِأَبوابِ الخَيرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ وَقِيَامُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيلِ»[٤١٦] ثم تلا هذه الآية.

= (٥/٣٢٣) لين الحديث وأما أبوه فهو سعد بن محمد ذكره الحافظ في لسان الميزان (٣/١٨) وقال: قال أحمد جهمي وأما عمه فهو الحسين بن الحسن بن عطية فقد ضعفه غير واحد منهم ابن معين وابن حبان وغيرهما انظر الميزان (٥٣٢٨) وأما أبوهما فهو الحسن بن عطية بن سعد العوفي وهو ضعيف كما في التقريب.

(٤١٥) وقع هنا تحريف في الاسم والصواب ميمون بن أبي شبيب والتصحيح من الطبري وغيره.

(٤١٦) رواه ابن جرير (٢١/١٠٢) والحاكم (٢/٧٦) وأبو بكر بن أبي شيبة في كتاب الإيمان ص ١٦ من حديث الحكم بن عتيبة عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ به.

وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وهذا من أوهامهما فإن الإسناد منقطع كما قال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص ٣٢٨ فإن ميمون لم يدرك معاذاً.

ورواه أحمد (٥/٢٣٥) من طريقة شهر ثنا ابن غنم عن معاذ بن جبل.

وشهر ضعيف الحديث راجع ترجمته في الميزان (٢/٢٨٣ ـ ٢٨٥) ورواه أحمد (٥/٢٣٥ و ٢٣٧) وابن جرير (٢١/١٠٢) وأبو بكر بن أبي شيبة في الإيمان ص ١٦ من طريق شعبة عن الحكم بن عتيبة عن عروة بن النزال يحدث عن معاذ.

ووقع في الطبري ونقله ابن كثير (٣/٤٦٨) عن عروة بن الزبير وهو تحريف يقيناً لأن الحديث معروف عن عروة بن النزال وليس ابن الزبير ومما يؤكد هذا أن الحافظ ابن حجر قال في ترجمته عروة بن النزال (٧/١٧٠) تهذيب التهذيب قال رحمه الله «روى عن معاذ بن جبل حديث الصوم جُنّة وعنه الحكم بن عتيبة ذكره المثنى بن حبان في الثقات» قلت لكن قال الحافظ الذهبي في الميزان (٣/٦٥) عروة بن النزال عن معاذ لا يعرف.

وقد أخرج النسائي هذا الحديث من طريق عروة بن النزال (٤/١٦٦) وقد نبه على ذلك صاحب تحفة الأشراف (٨/٤١٨).

وروى الحديث مطولاً الترمذي (٢٦١٦) وابن ماجه (٣٩٧٣) وأحمد (٥/٢٣١) من طريق معمر عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن معاذ وقال الترمذي حسن صحيح وتعقب الترمذي الحافظ ابن رجب بأن أبا وائل لم يدرك معاذاً فهو على هذا منقطع من هذا الطريق وزاد السيوطي في الدر (٦/٥٤٧) نسبته لابن أبي حاتم وابن نصر في كتاب الصلاة وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان وقد صحح الحديث الألباني برقم ٥١٣٦ في صحيح الجامع الصغير وروى الحديث أحمد (٥/٢٣٤) مختصر من طريق أبي بكر بن أبي مريم حدثني عطية بن قيس عن معاذ به.

قال الألباني في الإرواء (٢/١٤٠) وهذا إسناد متصل رجاله ثقات غير أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم الشامي وهو ضعيف لاختلاطه اهـ.

قلت وفي الباب عن أبي هريرة فليطلب من مظانه.

المجلد الخامس

صفحة:

١١١ ـ ١٣٣ ـ ١٣٤
١٣٥ ـ ١٣٦ ـ ٣٤٦
٤١٣ ـ

إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

قوله عزوجل: ﴿**قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خَلَقْتُ بيديَّ**﴾ فيه ثلاثة أوجه(١٣٩):

أحدها: بقوتي، قاله علي بن عاصم.

الثاني: بقدرتي، ومنه قول الشاعر(١٤٠):

تحملت من عفراء، ما ليس لي به ولا للجبال الراسيات يدان

الثالث: لما توليت خلقه بنفسي، قاله ابن عيسى.

﴿**أستكبرت**﴾ أي عن الطاعة أم تعاليت عن السجود؟

قوله عزوجل: ﴿**قال فالحق والحق أقول**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنا الحق، وأقول الحق، قاله مجاهد.

الثاني: الحق مني والحق قولي، رواه الحكم.

---

(١٣٩) ما ذكره المؤلف هنا من الأقوال الثلاثة كلها من التأويل المذموم الذي جانب أصحابه منهم أهل السنة في الأسماء والصفات بسببه والصواب إثبات صفة اليدين لله تبارك وتعالى وأزيد الأمر بياناً فأقول لو كان المراد باليد هنا القدرة أو القوة لبطل تخصيص آدم عليه السلام بخلقه (بها) فإن جميع المخلوقات حتى إبليس خلقت بقدرته تبارك وتعالى فأي مزية لآدم على إبليس في قوله «لما خلقت بيدي فكان يمكن لإبليس أن يقول وأنا خلقتني بيديك إذا كان المراد بها القدرة. أيضاً لو كان المراد باليد القدرة لوجب أن يكون لله قدرتان وقد أجمع المسلمون على بطلان ذلك فاحذر أيها القارىء من هذا التأويل الأجنبي عن هدى السلف الصالح. وفقنا الله وإياك لما يحب ويرضاه.

(١٤٠) هو عروة بن حزام، والبيت في اللسان «حمل».

وفتح القدير (٤/ ٤٤٥).

وفيه: تحملت من زلفاء...

الثالث: في ذكر الله، قاله السدي، وذكر الله هنا القرآن.

الرابع: في ثواب الله من الجنة حكاه النقاش.

الخامس: في الجانب المؤدي إلى رضا الله، والجنب والجانب سواء.

السادس: في طلب القرب من الله ومنه قوله تعالى ﴿**والصاحب بالجنب**﴾ أي بالقرب.

﴿**وإن كنت لمن السّاخرين**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من المستهزئين في الدنيا بالقرآن، قاله النقاش.

الثاني: بالنبي ﷺ وبالمؤمنين، قاله يحيى بن سلام.

وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾

قوله عز وجل: ﴿**وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بنجاتهم من النار.

الثاني: بما فازوا به من الطاعة.

الثالث: بما ظفروا من الإدارة.

ويحتمل رابعاً: بما سلكوا فيه مفاز، الطاعات الشاقة، مأخوذ من مفازة السفر.

= الجنب عندهم فمن أنبأك أنهم قالوا جنب من الجنوب فإنه يجهل هذا المعنى كثير من العوام فضلاً عن علمائهم وقد قال أبو بكر رضي الله عنه الكذب بجانب الإيمان راجع تفسير الطبري (٢٤/ ١٣) زاد المسير (١٩٢/٧) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦/ ٣٩٤) البيهقي في الأسماء والصفات ص ٣٦١.

﴿لا يمسهم السُّوءُ﴾ لبراءتهم منه. ﴿ولا هم يحزنون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا يحزنون، بألا يخافوا سوء العذاب.

الثاني: لا يحزنون على ما فاتهم من ثواب الدنيا.

وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: وما عظموه حق عظمته إذ عبدوا الأوثان من دونه، قاله الحسن.

الثاني: وما عظموه حق عظمته إذ دعوا إلى عبادة غيره، قاله السدي.

الثالث: ما وصفوه حق صفته، قاله قطرب.

﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن قبضه استبدالها(١٥٠) بغيرها لقوله ﴿يوم تبدل الأرض﴾ [إبراهيم: ٤٨] وهو محتمل(١٥١).

الثاني: أي هي في مقدوره كالذي يقبض عليه القابض في قبضته.

﴿والسموات مطويات بيمينه﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بقوته لأن اليمين القوة(١٥٢).

---

(١٥٠) ولعل الصواب أن يقال استبدال غيرها بها لأن الباء تدخل على المتروك ما في قوله تعالى: ﴿وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط﴾ الآية راجع زاد المسير (١٩٢/٧).

(١٥١) وقد ثبت في البخاري رحمه الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه «يقبض الله تعالى الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض» والقبض والبسط كل ذلك من صفات اليد كما هو معلوم فالآية إثبات اليد وهي كما ثبت ذلك الحديث الصحيح.

(١٥٢) وهذا تأويل مذموم لا يصح والصواب أن المراد باليمين اليد اليمنى وكلتا يدي الرب تبارك وتعالى يمين كما ثبت في صحيح أبي داود (٤٧٣٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنه مرفوعاً يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوي الأرض ثم يأخذهن.

وفي صحيح مسلم (١٨٢٧) من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمٰن وكلتا يديه يمين راجع الفتح (٣٩٦/٣) والاسماء والصفات للبيهقي ص ٣٢٣.

الثاني: في ملكه كقوله ﴿وما ملكت أيمانكم﴾[النساء: ٣٦].

ويحتمل طيها بيمينه وجهين:

أحدهما: طيها يوم القيامة(١٥٣). لقوله يوم نطوي السماء.

الثاني: أنها في قبضته مع بقاء الدنيا كالشيء المطوي لاستيلائه عليها.

﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾روى صفوان بن سليم أن يهودياً(١٥٤) جاء إلى النبي ﷺ فقال يا أبا القاسم إن الله أنزل عليك ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة و السموات مطويات بيمينه﴾ فأين يكون الخلق؟ قال «يكونون في الظلمة عند الجسر حتى ينجي الله من يشاء». قال: والذي أنزل التوراة على موسى ما على الأرض أحد يعلم هذا غيري وغيرك.

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾

قوله عز وجل: ﴿ونفخ في الصُّور فصعق مَنْ في السموات ومن في الأرض﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الصعق الغَشي، حكاه ابن عيسى.

الثاني: وهو قول الجمهور أنه الموت وهذا عند النفخة الأولى.

﴿إلا من شاء الله﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام. وملك الموت يقبض أرواحهم بعد ذلك، قاله السدي ورواه أنس عن النبي(١٥٥) ﷺ.

---

(١٥٣) وهو الصواب لما ثبت في صحيح البخاري وغيره وقد تقدم ولا ينافي ذلك القول الثاني فإن الله تعالى على كل شيء قدير وكل ما في الوجود تحت سلطانه وقدرته لا يخرج عن قدرته ولا يشبه شيء.

(١٥٤) وروى مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٥٠) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات﴾ فأين يكون الناس يومئذ؟ قال على الصراط، وكذلك جاء في حديث الخبر الذي رواه ابن مسعود انظره في الصحيح (٨/ ٥٥٠).

(١٥٥) رواه الطبري (٢٤/ ٢٩) من طريق يزيد الرقاشي عن أنس وهذا سند ضعيف ويزيد ضعيف وقد مرّ أكثر

الثاني: الشهداء، قاله سعيد بن جبير.

الثالث: هو الله الواحد القهار، قاله الحسن.

﴿ثم نفخ فيه أخرى﴾ وهي النفخة الثانية للبعث.

﴿فإذا هم قيام ينظرون﴾ قيل قيا، على أرجلهم ينظرون إلى البعث الذي وعدوا به.

ويحتمل وجهاً آخر ينظرون مايؤمرون به.

قوله عز وجل: ﴿وأشرقتِ الأرض﴾ إشراقها إضاءتها، يقال أشرقت الشمس إذا أضاءت، وشَرَقت إذا طلعت.

وفي قوله ﴿بِنُورِ رَبِّها﴾ وجهان:

أحدهما: بعدله، قاله الحسن.

الثاني: بنوره(١٥٦) وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه نور قدرته.

الثاني: نور خلقه لإشراق أرضه.

الثالث: أنه اليوم الذي يقضي فيه بين خلقه لأنه نهار لا ليل معه.

﴿ووضع الكتاب﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الحساب، قاله السدي.

الثاني: كتاب أعمالهم(١٥٧)، قاله قتادة.

﴿وجيء بالنبيين والشهداء﴾ فيهم قولان:

من مرة وزاد السيوطي في الدر (٧/ ٢٥٠) نسبته للفريابي وعبد بن حميد وأبي نعيم السجزي في الإبانة وابن مردويه.

ومن طريق أخرى عن أنس مختصراً بنحوه رواه البيهقي في البعث وابن مردويه كما في الدر (٧/ ٢٥٠).

(١٥٦) ولا يبعد أن يكون هذا النور هو الوارد في الحديث الصحيح «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام...» الحديث. وفيه حجابه النور وإذا كان الأمر كذلك ففي الآية والحديث إثبات نور الله تعالى على غير مثال دون تعطيل أو تحريف وأما ما تقدم من قول الحسن فهو من باب الاستعارة أن أشرقت الأرض بما يقيمه فيها من الحق والعدل ويبسطه سبحانه من القسط في الحساب ووزن الحسنات والسيئات راجع روح المعاني (٢٤/ ٣٠).

(١٥٧) ويؤيده الحديث الوارد وهو حديث البطاقة المشهور من حديث عبد الله بن عمرو رواه الترمذي (٢٦٤١) وابن حبان وغيرهما وصححه غير واحد من الأئمة راجع جامع الأصول (١٠/ ٤٥٨).

الثاني: معناه أننا لم نعجز عن إنشاء الخلق الأول، فكيف تشكون في إنشاء خلق جديد، يعني بالبعث بعد الموت، فيكون هذا خارجاً مخرج البرهان والدليل.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ الوسوسة كثرة حديث النفس بما لا يتحصل في حفاء وإسرار، ومنه قول رؤبة (٣٣٨):

وسوس يدعو مخلصاً رب الفلق ... ...

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيهِ مِن حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه حبل معلق به القلب، قاله الحسن. والأصم وهو الوتين.

الثاني: أنه عرق في الحلق، قاله أبو عبيدة.

الثالث: ما قاله ابن عباس، عرق العنق ويسمى حبل العاتق، وهما وريدان عن يمين وشمال، وسمي وريداً، لأنه العرق الذي ينصب إليه ما يرد من الرأس.

وفي قوله ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ تأويلان:

أحدهما(٣٣٩): ونحن أقرب إليه من حبل وريده الذي هو منه.

---

(٣٣٨) وبقية البيت سراً وقد أو الفقن.

والبيت في اللسان «وسس».

(٣٣٩) وقد اختار العلامة ابن كثير عود الضمير إلى الملائكة (٤/٢٢٣) فقال قوله ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ يعني ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه ومن تأوله على العلم فإنما فر لئلا يلزم حلول أو اتحاد وهما منفيان بالإجماع تعالى الله وتقدس ولكن اللفظ لا يقتضيه فإن لم يقل وأنا أقرب إليه من حبل الوريد وإنما قال ونحن أقرب إليه من حبل الوريد كما قال في المختصر «ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون» يعني ملائكته وكما قال تبارك وتعالى ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له =

الثاني: بأمرنا، قاله الضحاك.

الثالث: بأعين أوليائنا من الملائكة الموكلين(٤٤٠) بحفظها.

الرابع: بأعين الماء التي أتبعناها في قوله: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُوناً﴾، وقيل: إنها تجري بين ماء الأرض والسماء، وقد كان غطاها عن أمر الله سبحانه.

﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لكفرهم بالله، قاله مجاهد، وابن زيد.

والثاني: جزاء لتكذيبهم، قاله السدي.

الثالث: مكافأة لنوح حين كفره قومه أن حمل ذات ألواح ودسر.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَآ ءَايَةً﴾ فيها وجهان:

أحدهما: الغرق.

الثاني: السفينة روى سعيد عن قتادة أن الله أبقاها بباقردي من أرض الجزيرة عبرة وآية حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة.

وفي قوله: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني فهل من متذكر، قاله ابن زيد.

الثاني: فهل من طالب خير فيعان عليه، قاله قتادة.

الثالث: فهل من مزدجر عن معاصي الله، قاله محمد بن كعب.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه سهلنا تلاوته على إهل كل لسان، وهذا أحد معجزاته، لأن الأعجمي قد يقرأه ويتلوه كالعربي.

الثاني: سهلنا علم ما فيه واستنباط معانيه، قاله مقاتل.

الثالث: هونا حفظه فأيسر كتاب يحفظ هو كتاب الله، قاله الفراء.

كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾

(٤٤٠) وهذا القول يعد من التأويلات الغريبة والأجنبية عن نهج السلف في باب الأسماء والصفات راجع ما كتب في سورة طه عن قوم ولتصنع على عيني.

المجلد السادس

صفحة:

٢٩ ـ ٥٥ ـ ٧١
٣٥٨

الثاني: أنه غير معتبر، وأن السنة في زمان الطلاق لا في عدده، فإن طلقها ثلاثاً في قرء كان غير بدعة، قاله الشافعي رحمه الله، وقد روي أن النبي[٣٣] ﷺ كان يقرأ: فطلّقوهن لقُبُلِ عدّتهن. وإن طلقها حائضاً أو في طهر جماع كان بدعة، وهو واقع، وزعم طائفة أنه غير[٣٤] واقع لخلاف المأذون فيه فأما طلاق الحامل وغير المدخول بها والصغيرة واليائسة(*) والمختلعة فلا سنة فيه ولا بدعة.

ثم قال تعالى: ﴿وأَحْصُوا العِدَّةَ﴾ يعني في المدخول بها، لأن غير المدخول بها لا عدة عليها وله أن يراجعها فيما دون الثلاث قبل انقضاء العدة، ويكون بعدها كأحد الخطاب، ولا تحل له في الثلاث إلا بعد زوج.

﴿واتَّقوا اللَّهَ ربَّكم﴾ يعني في نساءكم المطلقات.

﴿لا تُخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن﴾ يعني في زمان عدّتهن، لوجود السكنى لهن.

﴿إلَّا أَنْ يأتِينَ بفاحشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أن الفاحشة يعني الزنى، والإخراج هو إخراجها لإقامة الحد، قاله ابن عمر والحسن ومجاهد.

والثاني: أنه البذاء(*) على أحمائها، وهذا قول عبدالله بن عباس والشافعي.

الثالث: كل معصية للّه، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً.

الرابع: أن الفاحشة خروجهن، ويكون تقدير الآية: إلا أن يأتين بفاحشة مبينة بخروجهن من بيوتهن، قاله السدي.

﴿وتلك حُدودُ اللَّهِ﴾ يعني وهذه حدود اللّه، وفيها ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني طاعة اللّه، قاله ابن عباس.

الثاني: سنّة اللّه وأمره، قاله ابن جبير.

---

(٣٣) رواه مالك (٢/ ٥٨٧) عن ابن عمر مرفوعاً. ورواه ابن الأنباري عن ابن عمر موقوفاً الدر (٨/ ١٩٠).

(٣٤) وقد أشبع الكلام في عدم وقوعه شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والشوكاني وغيرهم. راجع المطولات كالفتاوى ونيل الأوطار وزاد المعاد.

(*) وهو التي بلغت سن اليأس لكبر سنها ولم تعد تحيض.

(*) وهو أن يطول لسانها على أقارب زوجها كحماتها.

الثالث: في طرفها.

ويحتمل رابعاً: في منابت زرعها وأشجارها، قاله الحسن.

﴿وكُلوا مِن رِزْقِهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مما أحله لكم، قاله الحسن.

الثاني: مما أنبته لكم، قاله ابن كامل.

﴿وإليه النشور﴾ أي البعث.

﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

﴿أأمِنتُم مَنْ في السماءِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنهم الملائكة، قاله ابن بحر.

الثاني: يعني أنه الله تعالى(٦٦)، قاله ابن عباس.

﴿أنْ يَخْسِفَ بكم الأرضَ فإذا هي تمورُ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: تتحرك، قاله يحيى.

الثاني: تدور، قاله قطرب وابن شجرة.

الثالث: تسيل ويجري بعضها في بعض، قاله مجاهد، ومنه قول الشاعر(٦٧):

رَمَيْن فأقصدْن القلوب ولن ترى دماً مائراً إلا جرى في الخيازم.

---

(٦٦) وهو القول الراجح والصواب وهو قول جمهور السلف ففي الآية إثبات علو الله تعالى وأنه ليس في كل مكان بذاته كما قالت الجهمية بل هو على العرش استوى فوق سمواته وعلمه في كل مكان أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً ولا يفهم إنسان من قوله «من في السماء» أن السماء تحويه وتحيط به تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، بل المعنى على السماء، ففي هنا بمعنى على كما في قوله «لأصلبكم في جذوع النخل» وقوله «فسيحوا في الأرض أربعة أشهر» فاعلم هذا وتمسك به تنجو من إشكالات كثيرة وبدع لا حصر لها.

(٦٧) أبو حية النميري والبيت في القرطبي (١٨/٢١٦).

الرابع: هو إقبال الآخرة وذهاب الدنيا، قال الضحاك: لأنه أول الشدائد، كما قال الراجز[٩٥]:

قد كشفت عن ساقها فشُدُّوا وجدّت الحربُ بكم فجدوا.

فأما ما روي أن اللّه تعالى يكشف[٩٦] عن ساقه فإن اللّه تعالى منزه عن التبعيض والأعضاء وأن ينكشف أو يتغطى، ومعناه أنه يكشف عن العظيم من أمره، وقيل يكشف عن نوره.

وفي هذا اليوم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه يوم الكبر والهرم والعجز عن العمل.

الثاني: أنه يوم حضور المنية والمعاينة.

---

(٩٥) فتح القدير (٥/٢٧٥) والقرطبي (١٨/٢٤٨).

(٩٦) وهو حديث صحيح لا يصح تصديره بصيغة التمريض التي تشعر بضعفه فقد رواه البخاري (١٤/٣٥٩) ومسلم (١/١٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً ورواه البخاري مختصراً ولفظه «يكشف ربنا عن ساقه» الحديث هكذا بالإضافة ثم اعلم أيها القارىء الكريم أن أولى ما يفسر كتاب الله هو سنة رسول الله ﷺ فقد كفانا رسول الله ﷺ مؤنة تفسير الساق بما ورد عنه في الحديث المتقدم وفي بعض طرفه أن النبي ﷺ تلا هذه الآية مما يدل على أن الساق المرادة في الآية هي ساق الرب تبارك وتعالى لا ندري كنهها فهي من آيات الصفات التي نؤمن بها كما وردت لا نكيف ولا نعطل ولا نؤول ونقطع الطمع في إدراك الكيفية ولا يلزم من إثبات هذه الصفة ما ذكره المؤلف من تبعيض الأعضاء.. إلخ فالله تعالى منزه عن مشابهة الحوادث وطالما أن هذه الصفات كلها تدور في فلك قوله تعالى «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» فلا ضير من إثباتها كما جاءت ولهذا قال الإمام الشوكاني في فتح القدير (٥/٢٧٨) بعد أن أورد قول ابن عباس هذا يوم كرب شديد قاله الشوكاني «وقد أغنانا الله سبحانه في تفسير هذه الآية بما صح عن رسول الله ﷺ وآله وسلم كما عرفت وذلك لا يستلزم تجسيماً ولا تشبيهاً فليس كمثله شيء وهو السميع البصير».

دعوا كل قول عند قول محمد فما آمن في دينه كمخاطر

وأما تأويل الكشف عن الساق بالكشف عن نوره فقد ورد ذلك في حديث مرفوع رواه أبو يعلى وابن المنذر وابن مردويه وابن عساكر وابن جرير والبيهقي في الاسماء والصفات ص ٣٤٨ ولكن سنده ضعيف ففي سنده روح بن جناح. وقال البيهقي بعد إخراجه ص ٣٤٨ تفرد به روح بن جناح وهو شامي يأتي بأحاديث منكرة لا يتابع عليها والله أعلم.

قلت وقد رواه روح عن مولى عمر بن عبد العزيز وقال ابن حبان فيه إن «روح» منكر الحديث جداً يروي عن الثقات ما إذا سمعه الإنسان شهد له بالوضع والمولى الذي يروي عنه مجهول.

قلت ولهذا قال البيهقي وموالي عمر بن عبد العزيز فهم كثر. يعني إشارة إلى أنه لم يدر حال هذا المولى فهو مجهول. والله أعلم.

﴿ولا أنتم عابدون ما أَعْبُدُ﴾ يعني اللَّه تعالى وحده، الآيات.

فإن قيل: ما فائدة هذا التكرار؟

قيل: فيه وجهان: أحدهما: أن قوله في الأول«لا أعبد» و «لا تعبدون» يعني في الحال، وقوله الثاني: يعني في المستقبل، قاله الأخفش.

الثاني: أن الأول في قوله «لا أعبد» و«لا أنتم» الآية يعني في المستقبل(٥٠٣)، والثاني: إخبار عنه وعنهم في الماضي، فلم يكن ذلك تكراراً لاختلاف المقصود فيهما.

فإن قيل: فلم قال«ما أَعْبُدُ» ولم يقل«من أَعبُدُ»؟

قيل: لأنه مقابل لقوله: ﴿ولا أنا عابد ماعَبَدْتُم﴾ وهي أصنام وأوثان، ولا يصلح فيها إلا «ما» دون«من» فحمل الثاني على الأول ليتقابل الكلام ولا يتنافى.

﴿لكم دِينكم ولي دينِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لكم دينكم الذي تعتقدونه من الكفر، ولي ديني الذي أعتقده من الإسلام، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: لكم جزاء عملكم، ولي جزاء عملي.

وهذا تهديد منه لهم، ومعناه وكفى بجزاء عملي ثواباً، قاله ابن عيسى.

قال ابن عباس: ليس في القرآن سورة أشد لغيظ إبليس من هذه السورة، لأنها توحيد وبراءة من الشرك(٥٠٤).

---

(٥٠٣) وهنا قول آخر لشيخ الإسلام ابن تيمية نقله ابن كثير (٤/ ٥٦١) واستحسنه قال الحافظ ابن كثير وثم قول نصره أبو العباس ابن تيمية في بعض كتبه وهو المراد بقوله «لا أعبد ما تعبدون» يعني الفعل لأنها جملة فعلية «ولا أنتم عابدون ما أعبد» نفى قبوله لذلك بالكلية لأن النفي بالجملة الأسمية آكد فكأنه نفى الفعل وكونه قابلاً لذلك ومعناه نفي الوقوع ونفي الإمكان الشرعي أيضاً وهو قول حسن جداً والله أعلم أهـ.

(٥٠٤) كيف لا وقد اشتملت هذه السورة على نوعي التوحيد القولي والعملي ولهذا كان رسول الله ﷺ يقرأ بها في مناسبات خاصة.